تأثير أعمال عبد الوهاب بوحديبة على علم الاجتماع والثقافة التونسية

The Impact of Abdelwahab Bouhdiba's Works on Tunisian Sociology and Culture

تيسير النصراوي*، المدرسة العليا للسمعي البصري و السينما بقمرت

تونس، nnasraouitaycir20@gmail.com

تاريخ الارسال:2026-01-27 تاريخ القبول:2026-06-04 تاريخ النشر:2026-09-30

ملخص

تناول هذه الدراسة إسهامات عبد الوهاب بوحديبة الفكرية في علم الاجتماع والثقافة التونسية، من خلال تحليله للدين بوصفه منظومة اجتماعية وثقافية تتداخل فيها الأبعاد الروحية والرمزية مع البنى الاجتماعية. ركّز بوحديبة على قضايا الهوية والجنس والدين في المجتمعات الإسلامية، معتمدًا مقاربة سوسيولوجية وفلسفية نقدية تُبرز تعقيد العلاقة بين الفرد والمجتمع. كما سلّط الضوء على جدلية العقل والوحي في الإسلام، مؤكدًا إمكانية بناء رؤية متوازنة تجمع بين الحرية الفردية والمسؤولية الاجتماعية. واحتلّ موضوع الجنسانية مكانة مركزية في أعماله، حيث حلّل العلاقة بين الجنس والمقدّس وانعكاساتها على المخيال والممارسات الاجتماعية في تونس. إضافة إلى ذلك، ناقش التحوّلات الثقافية والاجتماعية الناتجة عن الاستعمار وصعود الحركات النسوية، مبرزًا أهمية التأويل والتجديد في قراءة النصوص الدينية لمواجهة تحديات الحداثة. وتُعدّ أعماله مرجعًا أساسيًا لفهم الديناميات الاجتماعية والثقافية في السياق التونسي المعاصر.

كلمات المفتاحية: الدين، علم الاجتماع، الثقافة التونسية، الهوية، الجنسانية، التأويل.

Abstract

This study explores the intellectual contributions of Abdelwahab Bouhdiba to Tunisian sociology and culture through his analysis of religion as a social and cultural system. Focusing on issues of identity, gender, and religion in Islamic societies, Bouhdiba adopts a critical sociological and philosophical approach. He highlights the relationship between reason and revelation, advocating a balance between individual freedom and social responsibility. His work also examines sexuality and its connection to the sacred, as well as major cultural and social transformations in Tunisia, including colonial legacies and feminist movements. Bouhdiba's writings remain essential for understanding contemporary social and cultural dynamics in Tunisia.

Keywords: Religion, Sociology, Tunisian Culture, Identity, Gender.

المؤلف المرسل*

مقدمة:

منذ إصداره الأول وحتى إسهاماته الأخيرة، يُعدّ عبد الوهاب بوحديبة واحدًا من أبرز المفكرين الذين شكلوا معالم السوسيولوجيا التونسية والعربية بشكل عام. فمن خلال إنتاجاته الغنية والمتنوعة التي تتنقل بين التحليل السوسيولوجي العميق والتأملات الفلسفية حول قضايا الهوية، الجنسانية، والدين، نجح بوحديبة في أن يترك أثراً بالغ الأهمية في فهم ديناميكيات المجتمع التونسي في تحولاته الاجتماعية والسياسية. حيث أن إنتاجاته الفكرية ليست مجرد محاضرات أكاديمية جافة، بل تشكل أداة تحليلية حية ومؤثرة في إعادة صياغة الكثير من المفاهيم التي تتعلق بالثقافة والمجتمع والدين، ما جعلها تشكل مرجعية لا غنى عنها لفهم الواقع التونسي من منظور سوسيولوجي نقدي.

فمن خلال أعماله البارزة مثل " الإسلام والجنس (لعبد الوهاب بوحديبة، الذي صدر باللغة الفرنسية عام 1975 تحت عنوان La Sexualité en Islam، يُعدّ من أبرز الأعمال الرائدة في دراسة العلاقة بين الإسلام والجنس من منظور أكاديمي يجمع بين السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا. يقدم هذا الكتاب مساهمة علمية عميقة في تحليل الروابط المعقدة بين الدين، الجسد، والجنس، مستندًا إلى قراءة دقيقة للنصوص الدينية وسياقاتها الثقافية، مع استكشاف التحولات الاجتماعية التي شكلت تصورات المجتمعات الإسلامية حول هذه المواضيع) و"الإنسان في الإسلام" (يُعد من أبرز الأعمال الفكرية التي تتناول مفهوم الإنسان في الإسلام بعمق وشمولية، من منظور يجمع بين الفلسفة والسوسيولوجيا. يتميز هذا الكتاب بتحليل دقيق ومتأنٍ للنصوص الدينية الإسلامية، بما في ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية، مع استحضار السياقات الثقافية والاجتماعية التي أسهمت في تشكيل تصورات المجتمعات الإسلامية حول الإنسان، مكانته، ودوره المركزي في الكون. يقدم بوحديبة قراءة تجمع بين البعد الروحي والأخلاقي والبعد الاجتماعي، مما يجعل الكتاب مساهمة قيّمة في فهم الإنسان في إطار الرؤية الإسلامية.)، تمكن بوحديبة من تجديد الخطاب حول الإسلام والعلاقات بين الجنسين، مُخالفًا بذلك العديد من التصورات السائدة، ومرسخًا رؤية جديدة تأخذ في الاعتبار التفاعل المعقد بين النصوص الدينية والواقع الاجتماعي. إضافة إلى أن

تحليلاته قد أسهمت بشكل جوهري في إعادة طرح الأسئلة حول مفاهيم مثل الحرية الفردية، دور المرأة في المجتمع، والسلطة الدينية.

وفي هذا السياق، يهدف هذا البحث إلى تحليل إسهامات عبد الوهاب بوحديبة الفكرية بشكل متعمق، من خلال فحص تطور رؤيته السوسيولوجية التي تتجاوز التحليل السطحي للظواهر الاجتماعية إلى التركيز على البنى الثقافية العميقة التي تؤثر في تشكيل السلوك الاجتماعي في تونس. كما يسعى هذا البحث إلى فهم كيفية تأثير أفكار بوحديبة في التفسير المعاصر للتحديات التي يواجهها المجتمع التونسي، لا سيما في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عرفها منذ بداية الألفية. وفي هذا الإطار، تطرح إشكالية البحث السؤال التالي: كيف يمكن لأعمال عبد الوهاب بوحديبة أن تساهم في تقديم أدوات تحليلية لفهم التحولات الاجتماعية في تونس، خاصة في سياق التحديات المعاصرة التي يواجهها المجتمع التونسي في إطار التحولات السياسية والاقتصادية؟

ناهيك و أن المنهجية التي يعتمدها هذا البحث هي "تحليل المحتوى"، حيث يركز على دراسة النصوص بشكل دقيق لاستخراج المفاهيم الرئيسية التي يعالجها بوحديبة، وتحليل كيفية تفاعل هذه المفاهيم مع البنى الاجتماعية والثقافية في تونس. وعليه يتمثل الهدف من هذا التحليل في الكشف عن الرؤى السوسيولوجية التي يقدمها بوحديبة حول العلاقة بين الفرد والمجتمع، وتقديم إطار تحليلي لفهم قضايا مثل الدين، الجنس، والهوية في سياق المجتمعات العربية المعاصرة. فضلا عن أن هذا البحث يعتمد على تحليل مجموعة من مؤلفات بوحديبة الأكثر تأثيرًا مثل "الإسلام والجنس" و"الإنسان في الإسلام"، مع التركيز على استخراج الرؤى النقدية التي يسهم بها في النقاشات حول الدين، السلطة، والمجتمع. كما أنه سيتم فحص الأساليب التي يستخدمها بوحديبة في معالجة هذه القضايا، سواء من خلال التأصيل الفلسفي أو عبر الأدوات السوسيولوجية التي يطورها في مؤلفاته.

أخيرا سيتيح لنا هذا التحليل فحص التأثيرات التي قد يكون لها عمل بوحديبة على الخطاب السوسيولوجي المعاصر، وعلى مستوى فهم المجتمع التونسي في ظل ما شهده من تغيرات، بالإضافة إلى استكشاف مدى فعالية أدواته التحليلية في مواجهة التحديات الاجتماعية والثقافية الراهنة.

1-رؤية بوحديبة السوسيولوجية:

يهدف هذا الجزء من البحث إلى تحليل المفاهيم و النظريات الرئيسية التي عمل بوحديبة على تحسينها في أعماله الأساسية ، مثل "الإسلام والجنس"، و"الإنسان في الإسلام". و عليه يقدم رؤيته التحليلية للنزاعات الثقافية و الدينية في السياق التونسي ، حيث أنه يرى أن الدين ليس فقط نسق من المعتقدات ، بل هو مجموعة من العلاقات الثقافية التي تنشأ الشخصية الفردية و الجماعية(**Hamès, 1985, p. 230**). إضافة إلى أنه يستند على تحليل التأويلات المختلفة للنصوص الدينية لاستيعاب كيفية تشكيل هذه النصوص البُنى الاجتماعية والتقاليد الثقافية.

- **تحليل متعمق لكتاب "الإنسان في الإسلام":**

يعمل بوحديبة في كتابه "الإنسان في الإسلام"، على إبراز منظور فلسفي واجتماعي دقيق لمفهوم الإنسان في الإسلام، مرتكزا على منهجية متكاملة تضم اللاهوت، الفلسفة، التصوف، وعلم الاجتماع. حيث لا يقتصر على التحليل التقليدي للدين كمنظومة تشمل الأحكام والعبادات، بل يركز على تقديم إجابة لسؤال جوهري: "ما هو موقع الإنسان في الكون وفقًا للتصور الإسلامي؟".

يستعرض بوحديبة أن الإنسان في الإسلام ليس فقط كمجرد كائن خاضع ، بل كيان يتناغم فيه البعد الروحي والمادي. هذه الثنائية تضع الإنسان في وضعية مميزة ك "خليفة" على الأرض، مما يدل على مسؤولية أخلاقية كبرى تجاه الكون والمجتمع (**Leblon Aubague, 1975 p. 3**). فالله هو خالق الإنسان، ولكنه منحه العقل والحرية، ما يتيح للإنسان قدرة على

اتخاذ قراراته على نحو مستقل وتحديد مصيره، فضلا عن ما يدعم فكرة الشراكة بين الإنسان والإله في الخلق والتعمير. إذا الإنسان كـ"خليفة" هو مفهوم جوهري في فلسفة بوحديبة، حيث أن هذه الخلافة لا تقتصر على السيطرة فقط، بل تشمل مسؤولية موسعة لبناء الأرض وتحقيق التوازن بين الروح والمادة . بين العقل والإيمان. بناءً على ذلك، يرى بوحديبة أن فهم الله في الإسلام ينطلق من فهم الإنسان ودوره الأساسي في هذا الكون. كما أنه يعزز دراسته من خلال تسليط الضوء على أهمية الحرية في الإسلام. بالنسبة له الحرية، هي أساس الوجود الإنساني، في تصوره، الإسلام لا يكبّل الإنسان بأسلوب مُعدّ مسبقًا، بل على العكس يعطيه حرية الاختيار التي تؤهله للتفاعل مع العالم وتسييره من خلال استخدام العقل والإيم **(Bouhdiba, 2004, p. 133)**. ناهيك وأنه يستشهد بوحديبة بالآية القرآنية "*اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* " (العلق، 1) (القرآن الكريم, s. 72) ، التي تعدّ دعوة واضحة إلى العلم و المعرفة، ما يُكرّس فكرة أن الإسلام يدعو إلى استخدام العقل كأداة لفهم الكون الوجود.

أيضا تشكل الإنسانية في الإسلام أو الإنسية الإسلامية نقطة جوهرية في فكر بوحديبة ، حيث يرى أن الإسلام يعطي رؤية عميقة عن الإنسان بصفته كائنا ذو قيمة محورية، لديه القدرة على التأمل والتفكير. و عليه تتجاوز هذه الإنسية البعد الديني المطلق لتتضمن الفلسفة والوجودية**(Al-Ghafari, 2016, p. 105)** ، حيث يُوضح أن الإسلام ينظر إلى الإنسان ككائن حر وعقلاني لديه القدرة على اتخاذ قراراته بصورة مستقلة. فهذه الرؤية تبين أن الإسلام ليس دينا يحبس الإنسان في طاعة غير مشروطة، بل يضعه في محور المشروع الكوني باعتباره كائن يتمتع بالعقل والحرية والمسؤولية.

وفي هذا السياق يؤكد بوحديبة أن الخروج من الجنة ليس نزولًا عقابيًا كما في بعض التحليلات التقليدية، بل هو تغيير وجودي يتضمن دلالة تحمّل الإنسان لوظيفته في هذا العالم . فالإنسان في الإسلام دائما في حالة ديناميكية بين العقل و الوحي، بين التجربة و الخطأ، مما يتيح له فرصة للتقدم والاكتساب.

يركز بوحديبة أيضًا على التوافق بين العقل والوحي في الإسلام، حيث يرى أن الدين لا يعادي العقل، بل يدمجه في إطار فهم أعمق للوحي والوجود. فالإسلام، في نظره، يحث الإنسان على استخدام العقل لفهم العالم واكتشاف الحقيقة، ما يتجلى في الدعوة المستمرة للعلم والتفكر، كما ورد في القرآن الكريم **(هرماسي، 2019، ص. 148)**.

ومن خلال هذا التحليل، يقدّم بوحديبة الإنسان في الإسلام ككائن مركزي في المشروع الإلهي، مسؤول عن تحقيق التوازن بين المادة والروح، وقادر على بناء حضارة إنسانية تقوم على العقل والإيمان معًا **(هرماسي، 2019، ص. 151)**، هذه الفكرة تُعزز من رؤية الإسلام كدين يمنح الإنسان الحرية والعقلانية في آنٍ واحد، ما يجعله كائنًا مؤثرًا في هذا الكون.

أخيرا ينتهي بوحديبة إلى استنتاج أن الإسلام، إذا ما فُهِم على حقيقته، يمثّل ثورة إنسانية تدعو إلى تحرير الإنسان من القيود المادية والروحية. هذه الثورة لا تقتصر على البعد الديني، بل تتجاوزه لتشمل جميع مناحي الحياة الإنسانية: الفكر، الفلسفة، العلوم، والاجتماع **(هرماسي، 2019، ص. 152)**.أيضا يرى أن الإسلام يدعو إلى خلق إنسان جديد، قادر على مواجهة تحديات العصر، وتحقيق التوازن بين الروح والعقل، بين الإيمان والمعرفة. من خلال تحليله، يقدّم بوحديبة قراءة جديدة للإسلام كدين كوني يعزز من قيمة الإنسان ككائن حر وعقلاني، قادر على التفاعل مع العالم والمساهمة في تطويره. فالإسلام بالنسبة لبوحديبة هو مشروع إنساني عظيم، يحمل في طيّاته القدرة على التجديد والتطوير.

- **تحليل كتاب "الجنسانية في الاسلام":**

يقدم بوحديبة في هذا الإطار دراسة معمقة بين الجنس و المقدس في المجتمعات الإسلامية. فضلا عن أنه يستند في تحليله على النصوص الدينية الرئيسية في الإسلام، كالقرآن الكريم والأحاديث النبوية، ليفسر كيف تم تنظيم الحياة الجنسية في إطار ديني و روحي. بالإضافة إلى أنه يرتكز على أن الإسلام لا يعتبر الجنس مجرد وسيلة للتكاثر، بل يصنفه على أنه جزء من الحياة الإنسانية المتصلة بالنشوة والروحانية (**Digard, 1976,**

p. 157)، و يتجلى ذلك في العديد من الآيات القرآنية المرتبطة بالمتعة و الروحانية، حيث يظهر ذلك في العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن العلاقة بين الزوجين. بالإضافة إلى أنه يتطرق إلى موضوعات الطهارة الجسدية **(بوحديبة، 1986)**

و كيفية ارتباطها بالجنس، حيث يتم التعامل مع الجسد على أنه يحتاج إلى التطهير بعد الممارسات الجنسية، وهو ما يعكس أهمية الطهارة في الحياة اليومية في الإسلام. فضلا عن أنه يتناول مسألة الحلال والحرام في الممارسات الجنسية (يستعرض بوجديبة الجذور الأخلاقية العميقة في الثقافة العربية التي تعود إلى التقاليد القرآنية الأصيلة. فقد وضع الإسلام ضوابط واضحة للتحكم في الرغبات البشرية، مثل تنظيم العلاقات الزوجية والتعاملات المالية بما يحقق التوازن والاعتدال. فعلى سبيل المثال، تشير الآية 37 من سورة النساء إلى مشروعية التعاملات المبنية على التفاهم والاتفاق، مما يعكس احترام كرامة الإنسان والحفاظ على القيم الأخلاقية. فضلا عن أن مفهوم التمتع والتكاثر في هذا السياق لا يهدف إلى العيش المسبق للجنة، بل يسعى إلى تحقيق حياة متوازنة تحترم الحدود الإلهية وتُثري التجربة الإنسانية.)، مشيرًا إلى أن هناك محرمات محددة تحكم السلوك الجنسي في المجتمعات الإسلامية. (تحكم السلوك الجنسي في المجتمعات الإسلامية مجموعة من المحرمات المستمدة من النصوص الدينية والتقاليد الاجتماعية. تشمل هذه المحرمات الزنا، والعلاقات المثلية، وسفاح القربى (العلاقات مع المحارم)، والجماع خلال الحيض، والخيانة الزوجية، والجنس قبل الزواج، والعلاقات الجنسية مع غير المسلمين خارج إطار الزواج الشرعي. كما تتضمن الممارسات الجنسية غير الطبيعية أو المفرطة، والتي تُعتبر خروجا عن القيم الأخلاقية والدينية. تُعد هذه المحرمات جزءًا من منظومة أخلاقية تهدف إلى تنظيم العلاقات الجنسية لضمان استقرار الأسرة والمجتمع، مع وجود تباينات بين النصوص الدينية والممارسات الاجتماعية في تطبيقها.) كما يتناول دور المرأة في هذا السياق، مشيرا إلى العلاقة بين الجنسين من منظور ديني واجتماعي (يشير إلى أن المرأة تُعتبر محورًا أساسيًا في تنظيم السلوك الجنسي، حيث تُحدد مكانتها ودورها وفقًا لتعاليم الشريعة الإسلامية والتقاليد الثقافية. يُبرز "كتاب الجنس في الإسلام " كيف تُفرض على المرأة قواعد صارمة تتعلق بالعفة والطهارة، إذ يُنظر إلى جسدها كرمز للشرف العائلي والاجتماعي. كما يناقش بوحديبة العلاقة بين الجنسين باعتبارها علاقة قائمة على ضبط الرغبات وإقامة توازن بين الحقوق والواجبات، مع تأكيد النصوص الدينية على الزواج كإطار شرعي لتنظيم هذه العلاقة. ومع ذلك، يُظهر الكتاب أن هذه الأطر تنعكس بطرق مختلفة في الممارسات الاجتماعية، حيث يمكن أن تتداخل الاعتبارات الدينية مع

العادات والتقاليد المحلية، مما يخلق تصورات متباينة حول أدوار المرأة والجندر في المجتمعات الإسلامية.)، مبرزا كيف أن تنظيم العلاقات الجنسية يعتمد على قواعد ومعايير تهدف إلى حماية النظام الاجتماعي والديني(**Bouhdiba, 1982, p. 16**). إضافة إلى أنه يبرز كيف أن تنظيم العلاقات الجنسية يعتمد على قواعد ومعايير تهدف إلى حماية النظام الاجتماعي والديني.

2-الجنس والمقدس في السياق التونسي: قراءة في أفكار عبد الوهاب بوحديبة:

يقدم عبد الوهاب بوحديبة في تحليله رؤية معمقة حول العلاقة بين الجنس والمقدس، مركزًا على التوازن الدقيق الذي يميز هذه العلاقة في المجتمعات الإسلامية، ولا سيما في الفضاء الاجتماعي التونسي(**Bouhdiba, 1965, p. 16**) . هذا الفضاء يتميز بثنائية معقدة تجمع بين الانفتاح والتحفظ، حيث تتشابك الجوانب الدينية مع السياقات العلمانية. ويظهر هذا التوتر في السلوكيات اليومية المرتبطة بالجنسانية، حيث يُنظر إلى الزواج، مثلاً، كوسيلة مقدسة للحفاظ على الهوية الدينية، بالإضافة إلى كونه عقدًا اجتماعيًا واقتصاديًا. ومع ذلك، شهدت المناطق الحضرية في تونس انفتاحًا تدريجيًا يعكس تبني الأفراد لممارسات أكثر تحررًا، لكن ضمن حدود تظل تراعي الرمزية الدينية والاجتماعية.

- **الهوية الجندرية والسيطرة الذكورية:**

يعالج بوحديبة قضايا السيطرة الذكورية في المجتمعات الإسلامية من خلال تحليل الأدوار الجندرية التقليدية وتفسير النصوص الدينية التي تدعم هذه السيطرة. حيث أنه في تونس، شكّلت مجلة الأحوال الشخصية الصادرة في عام 1956 نقطة تحول رئيسية في الحد من الهيمنة الذكورية على المستوى القانوني، ومع ذلك، تبقى الأدوار الجندرية التقليدية قائمة في العديد من الأوساط، لا سيما في المناطق الريفية. إضافة إلى أنه يشير إلى أن هذه الأدوار ليست نتاج الدين فقط، بل إنها تتداخل مع أعراف اجتماعية عميقة الجذور تعزز الهيمنة الذكوري(**Al-Ghafari, 2016, p. 215**)، ما يعكس التعقيد الذي يميز التحولات الجندرية في السياق التونسي.

● **المحظورات الجنسية بين التحفظ والانفتاح:**

يناقش بوحديبة مفهوم التابوهات الجنسية في الإسلام، ويُظهر كيف تتجسد هذه المحظورات في الثقافة التونسية. حيث لا يزال الجنس موضوعًا حساسًا ومحظورًا في العديد من الأوساط، إلا أن السنوات الأخيرة شهدت انفتاحًا نسبيًا على مناقشة هذه القضايا، سواء في الإعلام أو الأدب أو السينما. و عليه يعكس هذا التحول تأثير العولمة والقيم الليبرالية، لكنه يتوازى مع استمرار ارتباط هذه الموضوعات بقضايا الشرف والعرض، وهو ما يُظهر استمرار التصورات التقليدية للجسد الأنثوي كمجال مقدس.

● **الجنس والهوية الوطنية بين التراث والحداثة:**

يربط بوحديبة بين الجنسانية والهوية الوطنية في تحليله للعلاقات الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية. في تونس، يُعتبر النقاش حول الجنسانية جزءًا لا يتجزأ من النقاش الأوسع حول الهوية الوطنية بعد الاستقلال. تبنى الحبيب بورقيبة، على سبيل المثال، إصلاحات تهدف إلى تحرير المرأة كجزء من مشروع تحديثي، معتبرًا أن تحرير المرأة شرط أساسي للتقدم الاجتماعي. ومع ذلك، واجه هذا المشروع تحديات تتعلق بموازنة القيم الإسلامية التقليدية مع القيم الحديثة المستوحاة من الغرب.

3-الديناميات الاجتماعية والثقافية في تونس من منظور بوحديبة:

يُعدّ الدين، من منظور بوحديبة، أكثر من مجرد منظومة معتقدات روحية؛ فهو شبكة معقدة من الممارسات والتقاليد التي تتداخل مع مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية. فهو يشكل إطارًا شاملاً يُحدد السلوكيات والمعايير الأخلاقية، بما في ذلك العلاقات الجنسية وتنظيم الأدوار الجندرية. حيث يرى أن الدين الإسلامي، من خلال نصوصه وتعاليمه، لا يكتفي بتقديم توجيهات روحية فردية، بل يؤسس لنظام اجتماعي شامل يُنظم العلاقات بين الأفراد والجماعات، ويؤطر مفاهيم الشرف، والعفة، والواجبات الأسرية. من هذا المنطلق، تُصبح المحرمات والضوابط المتعلقة بالسلوك الجنسي جزءًا من هذه الشبكة، حيث تُعبر عن علاقة

الدين بالمجتمع، وتكشف عن كيفية اندماج المعتقدات الروحية مع الممارسات الثقافية في حياة المسلمين اليومية.

وفي السياق التونسي، يبدو تأثير الدين جليًا في تشكيل القيم والمعتقدات التي تعكس الهويات الفردية والجماعية على حد سواء. ويتضح هذا التأثير، بشكل خاص، في العلاقات الاجتماعية والجندرية، حيث يتفاعل البعد الديني مع المفاهيم الثقافية السائدة، مما يؤدي إلى صياغة ديناميات اجتماعية تتسم بالتداخل والتعقيد[1].

من جهة أخرى، يُبرز بوحديبة كيف تتأثر الممارسات الدينية بالتحولات التاريخية والاجتماعية. فالسياقات التاريخية، مثل حقبة الاستعمار وما أعقبها من تحولات سياسية، لعبت دورًا محوريًا في إعادة تشكيل هذه الممارسات. في تونس، يُمكن ملاحظة ذلك من خلال الحركات الاجتماعية، على غرار الحركات النسوية، التي تتحدى الأدوار التقليدية وتسعى إلى تقديم قراءات معاصرة للنصوص الدينية تتماشى مع المتغيرات الاجتماعية والسياسية.

ويركز بوحديبة على الدين كمساحة للتفاوض والتأويل، وهو مفهوم يتجلى بوضوح في السياق التونسي، حيث تعيد الجماعات والأفراد تفسير النصوص الدينية بما يتلاءم مع احتياجاتهم الثقافية والاجتماعية(**Bouhdiba, s.d**) . هذا التأويل لا يساهم فقط في تعزيز التنوع داخل الممارسات الدينية، بل يمنح الأفراد مرونة لتطوير هوياتهم الخاصة ضمن الإطار الديني.

كما يناقش الدور الذي يلعبه الدين في مواجهة التحديات الثقافية والاقتصادية المعاصرة ، في ظل الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والتغيرات التكنولوجية، يصبح الدين أداة للتكيف مع السياقات الجديدة، مما يبرز أهمية التجديد الفكري والديني في مواجهة هذه التغيرات. من خلال هذا الدور التكيفي، يُسهم الدين إذا في الحفاظ على الهوية في بيئة متغيرة باستمرار.

أما فيما يتعلق بالهوية الوطنية، فيُبرز بوحديبة أهمية الدين كعنصر أساسي في بناء الانتماء وتعزيز التنوع. فالهوية التونسية، كما يراها، هي مزيج ديناميكي من الثقافات والتقاليد، حيث يضطلع الدين بدور محوري في هذا السياق. ويظهر ذلك جليًا من خلال تأثير الثقافة الإسلامية في الفنون والممارسات الاجتماعية، ما يجعل الهوية الوطنية التونسية كيانًا متعدد الأبعاد يعكس تناغمًا بين الأصالة والتنوع.

بهذا الطرح، يُبرز بوحديبة الدين كظاهرة اجتماعية ديناميكية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالتحولات التاريخية والثقافية، مما يجعل دراسته إطارًا هامًا لفهم العلاقات بين الدين والمجتمع في السياق التونسي الحديث.

4-تأثير عبد الوهاب بوحديبة في علم الاجتماع التونسي:

ركّز بوحديبة على دراسة القيم والتغيرات الاجتماعية والدينية، معتمدًا على مناهج متعددة تجمع بين التحليل الكمي والنوعي، مما ساهم في تطوير مقاربات جديدة لفهم المجتمع التونسي. تعتبر أعماله مرجعًا لفهم العلاقة بين الدين، الهوية، والتحولات الاجتماعية والسياسية و يتجلى ذلك في عدة نقاط رئيسية تتمثل في:

- **الدين كمنظومة اجتماعية:**

يرى بوحديبة أن الدين ليس مجرد منظومة روحية، بل هو منظومة اجتماعية وثقافية تتداخل مع كافة جوانب الحياة اليومية. في السياق التونسي، يشير إلى أن الدين يساهم في تشكيل القيم والمعتقدات التي ترسم ملامح الهوية الفردية والجماعية. كما يُبرز كيف تتفاعل القيم الدينية مع القيم الثقافية والجندرية السائدة، لتؤثر على العلاقات الاجتماعية بشكل عام، وعلى الأدوار الجندرية بشكل خاص.

- **التحولات الثقافية والاجتماعية:**

تناول بوحديبة أثر التحولات التاريخية، مثل الاستعمار وما تلاه من تغييرات سياسية واجتماعية، على الممارسات الدينية والثقافية. في تونس، شكّلت هذه التحولات أرضية لإعادة

النظر في الدين كعنصر محوري في حياة الأفراد والجماعات. وقد ركّز بوحديبة على كيفية مواجهة الحركات الاجتماعية، كالحركات النسوية، للأدوار التقليدية المفروضة دينيًا وثقافيًا، عبر تقديم قراءات جديدة للنصوص الدينية تتماشى مع التغيرات الاجتماعية المعاصرة.

- **الدين كأداة للتأويل والتجديد:**

أكد بوحديبة أن الدين ليس ثابتًا، بل هو مجال مفتوح للتأويل والتفاوض. في هذا السياق، أشار إلى كيفية قيام الأفراد والجماعات في تونس بإعادة تفسير النصوص الدينية لتتناسب مع احتياجاتهم الاجتماعية والثقافية. من خلال هذا التأويل، يتسع نطاق التنوع داخل الممارسات الدينية، مما يتيح للأفراد فرصة تطوير هوياتهم الخاصة ضمن الإطار الديني.

- **الدين والتغير الاجتماعي:**

رأى بوحديبة أن الدين يلعب دورًا هامًا في مواجهة التحديات الثقافية والاجتماعية **(Bouhdiba, 2008)** التي تفرضها التحولات الاقتصادية والتكنولوجية. في ظل الأزمات الاجتماعية والاقتصادية، يصبح الدين أداة للتكيف مع التغيرات وتعزيز الهوية في سياقات جديدة. من هنا تأتي أهمية التجديد الفكري والديني كعنصر أساسي في التعامل مع التحولات الاجتماعية المعاصرة.

- **الهوية الوطنية والتنوع الثقافي:**

في إطار الهوية الوطنية، يرى بوحديبة أن الدين يشكل جزءًا لا يتجزأ من عملية بناء الانتماء الوطني. حيث يشير إلى أن الهوية التونسية هي مزيج من الثقافات والتقاليد، و يلعب الدين دورًا محوريًا في تعزيز هذا التنوع. يظهر هذا بشكل واضح في انعكاس الثقافة الإسلامية على الفنون والممارسات الاجتماعية، مما يعكس هوية وطنية ديناميكية ومتعددة الأبعاد.

- الإنسية الإسلامية والتفاعل مع الفكر العالمي:

من الأفكار المركزية لدى بوحديبة أن الإنسية الإسلامية ليست منعزلة عن باقي الحضارات، بل هي جزء من حركة فكرية عالمية. ينعكس هذا التفاعل الحضاري بوضوح في

السياق التونسي، حيث تشكل تونس حلقة وصل بين الشرق والغرب بفضل موقعها الجغرافي وتاريخها الثقافي. يشير بوحديبة إلى أن التفاعل بين التقاليد الإسلامية والفكر العالمي يمكن أن يكون أساسًا لبناء مجتمع متوازن يجمع بين الأصالة والحداثة.

- **تحرير الإنسان من الحتمية الاجتماعية:**

يرى بوحديبة أن الإسلام يمنح الإنسان الحرية لتجاوز الإكراهات الاجتماعية والحتميات التقليدية، وهو مفهوم يمكن أن يلهم الحركات النسوية والتيارات الفكرية التونسية الساعية لتحرير المجتمع من القيود التقليدية. هذه الرؤية تقدم نموذجًا للتحرر الاجتماعي، لا سيما في قضايا المساواة بين الجنسين وحقوق المرأة.

- **الإنسان ككائن كوني:**

يعزز بوحديبة فكرة أن الإسلام ينظر إلى الإنسان ككائن كوني منفتح على العالم، وهي رؤية تنسجم مع الطابع الثقافي التونسي الذي يتميز بالانفتاح الحضاري والتنوع الثقافي. هذا الانفتاح يمكن أن يعزز دور تونس كمركز ثقافي وفكري في العالم العربي والإسلامي.

- **الإنسية الإسلامية كمشروع حضاري:**

يقدم بوحديبة تصورًا للإنسية الإسلامية كحركة تتجاوز الدين لتشمل جميع جوانب الحياة، من الفكر إلى الفن. يعكس هذا التصور روح المجتمع التونسي الحديث الذي يسعى إلى بناء نموذج حضاري شامل يجمع بين القيم الإسلامية والتطلعات الإنسانية، مما يجعله مشروعًا ثقافيًا وفكريًا متكاملًا.

- **تأثيره على التعليم الأكاديمي:**

ترك بوحديبة أثرًا واضحًا على التعليم الجامعي في تونس، حيث ساعد في تطوير المناهج التعليمية في مجال علم الاجتماع، وخاصة في ما يتعلق بدراسة الديناميات الاجتماعية والثقافية. كما أثرت أعماله على أجيال من الباحثين، وساهمت في إغناء المكتبة الأكاديمية بمصادر هامة لدراسة التحولات في المجتمع التونسي.

باختصار، يُعد عبد الوهاب بوحديبة أحد أعمدة علم الاجتماع في تونس، حيث استطاع عبر أبحاثه ومساهماته الفكرية أن يقدم رؤية متجددة وعميقة لدراسة الديناميات الاجتماعية والثقافية، مما جعله مرجعًا فكريًا في مجاله ومصدر إلهام للأجيال القادمة.

خاتمة:

تتميّز أعمال عبد الوهاب بوحديبة بعمقها وقدرتها على تجاوز الأطر التحليلية التقليدية لتقديم فهم جديد للديناميات الاجتماعية والثقافية والدينية في تونس. إذ تجمع مقاربته بين علم الاجتماع والفلسفة وعلم اللاهوت، مما يتيح رؤية معمقة حول قضايا محورية مثل الهوية، الجنس، ودور الفرد في المشروع الحضاري الإسلامي. بالإضافة إلى أنه يقدّم رؤية إنسانية للإسلام، يضع فيها الإنسان في مركز الاهتمام، باعتباره كائناً حراً، عاقلاً ومسؤولاً. وتنسجم هذه الرؤية مع القيم الكونية، مما يجعلها ذات صدى خاص في السياق التونسي المعاصر، الذي يواجه تحديات التحديث والعولمة والمطالب بالمساواة الاجتماعية والجندرية. كما تمثل أعماله مرجعاً تحليلياً ثميناً لفهم التحولات الاجتماعية والثقافية الراهنة، حيث توفّر أدوات نقدية لاستجواب العلاقة بين التقليد والحداثة، واقتراح حلول للتوترات والصراعات المجتمعية.

أخيرا لا تقتصر مساهمات عبد الوهاب بوحديبة على قراءة أكاديمية للمجتمع التونسي، بل تدعو إلى تفكير عميق حول إمكانية التوفيق بين الإرث الروحي الإسلامي وتطلعات العصر الحديث نحو التحرر والعدالة الاجتماعية والانفتاح على العالم .ناهيك و أن إسهاماته تظل منارة فكرية للباحثين والمفكرين ولكل من يسعى لفهم تطورات المجتمع التونسي وما وراءه.

البيبلوغرافيا:

المراجع العربية:

القرآن الكريم. (2016). *سورة العلق*. دار المعرفة.

بوحديبة، ع. (1986). *الجنس في الإسلام* (ترجمة هالة العوري). رياض الريس للكتب والنشر.

هرماسي، ع. (2019). *الإسلام انفتاح وتجاوز: الإسلام في فكر عالم الاجتماع التونسي عبد الوهاب بوحديبة*. مجلة عمران، 29(8).

Références en français :

Bouhdiba, A. (1965). *L'Islam maghrébin : Essai d'une sociologie*. Revue Tunisienne des Sciences Sociales.
Bouhdiba, A. (1982). *La sexualité en Islam*. Presses Universitaires de France.
Bouhdiba, A. (2004). *Le message de l'Islam*. Diogène.
Bouhdiba, A. (2008). *L'arabisation de la philosophie*. Parole, 79.
Bouhdiba, A. (s.d.). *L'Islam doit relever les défis actuels*. UNESCO. https://www.unesco.org/fr/articles/abdelwahab-bouhdiba-lislam-doit-relever-les-defis-actuels

Digard, J.-P. (1976). A. *Bouhdiba, La sexualité en Islam*. L'Homme, 16(4). https://doi.org/10.3406/hom.1976.367705

Hamès, C. (1985). Bouhdiba (A.), Chevallier (D.), *La ville arabe dans l'islam*. Archives de sciences sociales des religion.

Leblon Aubague, M. (1975). *Islam et sexualité : Présentation de la thèse d'A.Bouhdiba*. Migrants-Formation.

Références en anglais:
Al-Ghafari, I. (2016). *Review of Sexuality in Islam*. International Network of Sexual Ethics and Politics (INSEP), 4.
Al-Ghafari, I. (2016). *Review of Sexuality in Islam*. INSEP, 4.